

دلائل الإعجاز

ويؤمنون وأشباه ذلك . ولا يجوز أن يكون الإعجاز بأن لم يُلْتَقَ في حروفه ما يثقل على اللسان .

وجملة الأمر أنّه لن يعرض هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له إلا من سوء المعرفة بهذا الشأن أو للخُذْلان أو لشهوة الإغراب في القول . ومَنْ هذا الذي يرضى من نفسه أن يزعم أن البرهان الذي بان لهم والأمر الذي بهرهم والهيئة التي ملأت صدورهم والرّوعة التي دخلت عليهم وأزعجتهم حتّى قالوا : " إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة وإنَّ أسفل له لمُغْدِقٌ وإنَّ أعلاه لمثمر " . إنما كان بشيء راعهم من مواقع حركاته ومن ترتيب بيناتها وبين سَكَناته أو لفواصل في أواخر آياته من أين تليق هذه الصفة وهذا التشبيه بذلك أم ترى أن ابن مسعود حين قال في صفة القرآن : " لا يَتَفَهَهُ ولا يَتَشَانُ " وقال : " إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دَمَثاتٍ أتأَنَّقُ فيهم " أي اتَّبَعَ محاسنهن . قال ذلك من أجل أوزان الكلمات ومن أجل الفواصل في أواخر الآيات أم ترى أنهم لذلك قالوا : لا تفنى عجائبه ولا يَخْلُقُ على كثرة الردِّ أم ترى الجاحظ حين قال في كتاب " النبوة " : " ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبيّن له في نظامها ومخارجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثليها . ولو تحدّث بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها لَغَا ولغط " .

انظروا إلى مثل ذلك فليس كلامه هذا مما ذهبوا إليه في شيء .

ويَدْبِغِي أن تكون موازناتُهُم بين بعض الآي وبين ما قاله الناس في معناها كموازناتهم بين :